

النفوذ الروسي في منطقة جنوب القوقاز: من حتمية الهيمنة الجيوسياسية إلى المحدودية

Russian influence in the South Caucasus region: from the inevitability of geopolitical hegemony



د/ نصيرة ملاح

جامعة أحمد بوقرة- بومرداس

na.mellah@univ-boumerdes.dz

تاريخ النشر: 2025/12/28

تاريخ القبول: 2025/12/17

تاريخ الارسال: 2025/09/30

ملخص: تستعرض هذه الورقة البحثية ملامح النفوذ الروسي في دول جنوب القوقاز الثلاث التي طالما شكلت منذ عقود متوالية الحديقة الخلفية للنفوذ الروسي، ومناطق متاخمة لها كحاجز مناعي من المد الأطلسي في مرحلة ما بعد الاتحاد السوفياتي. غير ان السنوات الأخيرة سجلت تقلص واضح في حجم النفوذ الروسي وتأثيره، وهذا مرده لعوامل أساسية في مقدمتها الدور الأمريكي والأوروبي بالمنطقة فضلا عن مجموعة من المستجدات في القوقاز الجنوبي افقدت روسيا بعض من أوراق الهيمنة الإقليمية وفسحت المجال لتوازنات جديدة محورها الولايات المتحدة الامريكية ودول الاتحاد الأوروبي والقوى الاقليمية،

الكلمات المفتاحية: النفوذ الروسي؛ جنوب القوقاز؛ أذربيجان؛ جورجيا؛ أرمينيا.

Abstract: This research paper reviews the features of Russian influence in the three South Caucasus countries, which for decades have long formed the back gardens of Russian influence, and adjacent areas as an immune barrier from the Atlantic tide in the post-Soviet period. However, recent years have recorded a clear decline in the size and influence of Russian influence, and this is due to fundamental factors, most notably the American and European role in the region, in addition to a group of developments in the South Caucasus that have caused Russia to lose many of its regional hegemony cards and paved the way for new balances centered on the United States of America, the European Union countries, and regional powers.

key words: Russian influence ; South Caucasus ; Azerbaijan; Georgia; Armenia

.مقدمة:

القوقاز الجنوبي منطقة جغرافية تمثل الحيز الجغرافي الذي يربط اسيا مع أوروبا والبحر الأسود وبحر قزوين، وارتبطت من ناحية أساسية بالهيمنة الروسية منذ العهد القيصري والمرحلة السوفيتية. ومع تفكك الاتحاد السوفياتي سنة 1991 استعادت الدول الثلاث استقلالها السياسي غير ان مظاهر الهيمنة الروسية لم تخلو من المشهد العام الذي طبع خصوصيات المنطقة، وروسيا كانت ولا زالت طرفا اساسيا في التفاعلات الحاصلة في المنطقة على غرار التواجد العسكري الروسي في الأقاليم الانفصالية لجورجيا في كل من أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا منذ 2008، علاوة على الدور الروسي في النزاع في إقليم "كاراباخ" وتحالفها العسكري مع أرمينيا. كما أن الدول الغربية جعلت من الدول الثلاث مسرحا مهما لتقويض النفوذ الروسي من خلال دعم الثورات الملونة التي عرفتها دول أوروبا الشرقية منها ثورة الورود في جورجيا نوفمبر 2003 التي كانت وراء الطموح الجورجي المبكر حول إمكانية الضفر بعضوية حلف شمال الأطلسي، وتجلت بوضوح في قمة حلف الشمال الأطلسي في بوخارست 2008، اما أرمينيا التي ارتبطت بروسيا منذ قرون بارتباط وثيق شمل عديد الأصعدة، إلا انها منذ 2019 دخلت العلاقات بين أرمينيا والولايات المتحدة الأمريكية في مسار الحوار الاستراتيجي توجت بالتوقيع على اتفاقية الشراكة الاستراتيجية بين الطرفين في جانفي 2025، ما يعني التخفيف من التحالف الروسي التقليدي. اما أذربيجان عملت منذ فترة التسعينات على التنصل تدريجيا من التبعية الروسية من خلال عقد شراكات متنوعة وبرامغامية مع الولايات المتحدة الأمريكية وتركيا، والدول الأوروبية وإسرائيل. وهذا التوجه طبعاً لا يصب في مصلحة واهداف روسيا على المدى المتوسط والبعيد بالرغم من أن أذربيجان هي عضو في حركة عدم الانحياز وتفضل الاتفاقيات الثنائية وعضو في رابطة الدول المستقلة فهي لا تسعى للانضمام الى حلف شمال الأطلسي او الاتحاد الأوروبي، غير انها تمثل بديلا ناجعا لطرق امداد الطاقة – بالتنسيق مع تركيا - الى أوروبا بعيدا عن التأثير الروسي.

يبقى ان المرحلة الراهنة سجلت مستجدات حاسمة جعلت نفوذ روسيا ينحصر في دوائر محددة من اهمها الحرب الروسية الاكرانية 2022، حرب أذربيجان الخاطفة على إقليم "كاراباخ" في سبتمبر 2023 بدعم تركي هائل كبير، أدت الى ضم الإقليم بالمقابل تقاعس روسي -الذي له الكثير ما يبرره- عن الدفاع عن حليفها أرمينيا في الإقليم، اسفر هذا التقاعس الروسي تجاه نزاع كاراباخ، أن خرج باتفاق تاريخي في 2025/8/8 بين أذربيجان وأرمينيا بالبيت الأبيض برعاية أمريكية بعد عقود من الصراع، الأكيد من كل هذا ان الاتفاق القى الكثير من الجمود على علاقة روسيا بحليفها السابقة أرمينيا و افق نفوذ روسيا بالمنطقة.

من الأسباب وراء البحث في هذا الموضوع هو فهم طبيعة العلاقات التي تجمع دول جنوب القوقاز وروسيا بالرغم من انها تجمعها العديد من القواسم الثقافية والتاريخية المشتركة الا انها فشلت ان تصبح كيانا سياسيا موحدًا.

من ناحية أخرى اتسمت علاقاتها مع روسيا منذ استقلالها بالتوتر المستمر بسبب تأثيرات المد الأطلسي على المنطقة وهو الأمر الذي يشكل خط احمر للأمن القومي الروسي، ومن الأسباب كذلك لإظهار أن منطق الواقعية السياسية لروسيا من خلال القوة الصلبة نجح في تكريس النفوذ الروسي لعقود، غير أنه لم يضمن استدامته على المدى الطويل.

ومما سبق نأتي على طرح الإشكالية التالية: إلى أي مدى أثرت المستجدات الدولية ذات الصلة بإقليم جنوب القوقاز بالعمل على محدودية النفوذ الروسي؟ ولتبسيط الإشكالية نطرح الأسئلة الفرعية التالية:

- ماهي مضامين العلاقات الروسية مع دول القوقاز الجنوبي الثلاث؟

- ماهي العوامل التي كانت وراء انحسار النفوذ الروسي بالقوقاز الجنوبي؟

وكإجابة أولية لإشكالية الدراسة تم اعتماد الفرضية التالية: كان للدور الأمريكي في المنطقة يد طولى عبر اليات مختلفة في إعادة تموقعها بالمنطقة بالمقابل محدودية الدور الروسي.

وقصد تبسيط إشكالية الورقة البحثية تم الاعتماد على المنهج الوصفي بهدف وصف وتحليل مضامين التوجهات الخارجية لروسيا والليات المتبعة في الحفاظ والدفاع عن مصالحها بالمنطقة، كذلك لفهم العوامل التي عملت ببطيء على انحسار هيمنة روسيا مقارنة بما كانت عليه

- أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى فهم طبيعة العلاقات الروسية مع دول جنوب القوقاز الثلاث منذ استقلالها إلى غاية التطورات السياسية الأخيرة، فهم لمعالم النفوذ الروسي بالمنطقة وطبيعة المصالح الجيوسياسية الروسية تجاه المنطقة، والعوامل التي كانت وراء محدودية الهيمنة الروسية تجاه دول المنطقة مقارنة بفترات سابقة، الإشارة إلى التوجهات العامة التي أصبحت تحكم السياسة الخارجية لدول جنوب القوقاز بعد تداعيات حرب روسيا على أوكرانيا .

- تقسيم العمل: يتم تناول الموضوع من خلال محورين أساسيين هما

- المحور الأول: طبيعة العلاقات الروسية مع دول جنوب القوقاز: أذربيجان. جورجيا. أرمينيا -

- المحور الثاني: العوامل المؤثرة في محدودية النفوذ الروسي بمنطقة جنوب القوقاز.

1. طبيعة العلاقات الروسية مع دول جنوب القوقاز.

يركز هذا المحور على فهم مضمون علاقة روسيا مع كل دولة من خلال إبراز مظاهر النفوذ الروسي ومؤشرات التوتر التي حدثت من توسع هيمنة روسيا تجاه دول جنوب القوقاز.

1.1 علاقة روسيا مع أذربيجان:

تاريخيا روسيا في مختلف تجلياتها القيصريّة والسوفييتية سيطرت على جنوب القوقاز لعدّة قرون، وهي تظلّ قوة لا يستهان بها، أذربيجان السابقة وهي ضمن الخسائر الجيوسياسية لروسيا. اتّسمت العلاقات الروسية الأذربيجانية بالتغيّر المستمر، وتجمع البلدين العديد من القضايا المشتركة الشائكة منها قضايا سياسية، اقتصادية، الطاقة والعلاقات العسكرية والثقافية، ومنذ استقلال أذربيجان عن روسيا الاتحادية في 30 أوت 1991م حاولت أذربيجان تبني سياسة خارجية واقعية وأكثر براغماتية متعددة

الجهات، حيث حافظت على علاقاتها مع روسيا والكتلة الغربية في ان واحد. وهو ما أتاح مجالا واسعا للمناورة بين مشروع التكامل الأوروبي والروسي. بالرغم من اجتهاد روسيا لربط أذربيجان بها أكثر من الدول الغربية إلا أنّ العلاقات الثنائية اتسمت بالفتور السياسي وغياب سمة التحالف الاستراتيجي الثنائي، وفي هذا السياق بذلت روسيا عدّة محاولات في الماضي القريب لجعل أذربيجان تنظم لمشاريع التكامل الروسية على رأسها الاتحاد الاقتصادي الاوراسي (EAEU) الذي رفضت الانضمام اليه، ومحاولة جذبها بمكانة بارزة من خلال الزيارات الرسمية وصادرات الدفاع الروسية، ومن ناحية أخرى إقناعها بذلك في ظل التوتر مع أرمينيا على إقليم "ناغورنو كاراخ"، وباعتبارها إحدى دول رابطة الدول المستقلة (CIS) التي انضمت إليها في سبتمبر 1993 وانضمت الى منظمة معاهدة الأمن الجماعي (CSTO) بقيادة روسيا في سنة 1993م، لكنها انسحبت في سنة 1999م، ما يعني أنّ أذربيجان تمكّنت من الابتعاد من أي ارتباطات رسمية مع الهياكل الأمنية ومشاريع التكامل التي تشرف عليها روسيا، (KC, 2016, p. 272)

غير أنّها حافظت على تعاونها مع الطرف الروسي في مجال الطاقة، حيث أنّ أذربيجان في البداية كانت تعتمد على شبكة خطوط الأنابيب الروسية. بعدها عملت على تشييد شبكة أنابيب نقل الطاقة عبر خط أنابيب النفط (BTC) من "باكو-تيليسي - جيهان" الذي تم تشغيله عام 2005م، مما أدّى إلى كسر احتكار روسيا لنقل النفط عبر بحر قزوين، كذلك تم الانتهاء من خط أنابيب جنوب القوقاز (SCP) في عام 2006م، وصولا الى الممر الجنوبي للغاز (SGC) في سنة 2018 وهو مشروع كبير يربط مكن أذربيجان من تصدير الغاز نحو أوروبا عبر ثلاث خطوط أساسية (SPC-TANAP-TAP) مما أتاح تصدير الغاز الأذربي لاحقا بشكل مستقل عن روسيا .

غير أنّ لروسيا أوراق ضغط أخرى بإمكانها التأثير في أذربيجان؛ منها العدد الهائل من العمالة الأذرية التي تعمل بموسكو، وتستضيف روسيا جالية أذرية أكثر من مليون شخص، كما أنّ العرق الروسي متركز في أذربيجان بقوة، هذه الجالية تقوم بتحويلات مالية كبيرة وقد يصبحون عرضة للضغوط الروسية تماما مثل الضغوط التي فرضت على الجورجيين عام 2006م بعد ازمة سياسية حادة بينهما، كما أنّ مكانة روسيا في مجموعة "مينسك" واستمرارها في لعب الدور الرئيسي الأكثر نفوذا في نزاع كاراباخ من شأنه إثارة حفيظة أذربيجان وبالتالي الحد من حرية "باكو" في تجاهل المطالب الروسية. (Heidi Kjærnet, 2009, p. 4).

فالطموح الأذربيجاني هو أن تصبح ذات زعامة إقليمية تملك الإرادة المطلقة على مواردها وثرواتها أما الطموح الثاني فهو فرض الزعامة على إقليم "كارباخ" حيث ترى أذربيجان أنّ روسيا هي طرف فيه باعتبارها مؤيدة لدولة أرمينيا التي وقّعت معها اتفاقية سنة 1997م، بموجبها تتعهد روسيا بتقديم المساعدة العسكرية في حالة تعرّضها للهجوم العسكري، هذا فضلا للدعم الصريح لروسيا لخصمها في المنطقة أرمينيا، هذا ما جعل أذربيجان تنظر إلى موسكو باعتبارها تهديدا وجوديا لها هذا الشعور الدائم بانعدام الأمن أجبر أذربيجان على البحث عن حلفاء قادرين على موازنة سياسة روسيا الخارجية الصارمة، سعت أذربيجان إلى إقامة صداقة تاريخية مع تركيا والاشتراك معها كطرف مواز لروسيا، تم التوقيع اتفاقية

الشراكة الاستراتيجية والدعم المتبادل سنة 2010م، والذي نص على الدفاع المتبادل في حالة وقوع هجوم عسكري. (Guliyev, 2021, p. 10).

يبقى أنّ العلاقات بين روسيا وأذربيجان غير ثابتة وتتأثر كثيرا بمتغيرات البيئة الإقليمية والدولية والتوازنات الحاصلة في منطقة القوقاز، فمنذ ضم شبه جزيرة القرم 2014م والحرب الروسية-الأوكرانية 2022 اتسمت سياسة أذربيجان بالتوتر بين روسيا والبراغماتية والاستثمار في فرص ومتغيرات المرحلة وكان للتعاون الوثيق بين أذربيجان وتركيا أثره في الحرب الخاطفة في 2020 و2023م بسبب الدعم اللوجستي والعسكري التركي لأذربيجان، كذلك تصاعد التعاون بين أذربيجان وإسرائيل، وهو ما دفع بإيران إلى اتهام أذربيجان بالتواطؤ في تنفيذ هجمات إسرائيلية على أراضيها..

وفي هذا السياق تحركات أذربيجان لم تنشأ من فراغ، التي تلقت وعدا غربية بتنفيذ ما يعرف بخريطة العقيد "بيترو" والتي ظهرت عام 2006م والتي تقضي بإعادة رسم خريطة الشرق الأوسط الكبير على أسس قومية ومنها تقسيم إيران ومنح أذربيجان ما يعرف بـ "أذربيجان الشرقية" في شمال غرب إيران. فإيران حسب التقرير هي دولة ذات حدود عشوائية ستخسر جزءاً كبيراً من أراضيها لصالح أذربيجان الموحدة. (Peters, 2006, p. 6). وعلى صعيد آخر تسجل العلاقات التجارية نموا متزايدا، الصادرات الرئيسية من روسيا إلى أذربيجان هي صناعة الوقود حيث اختارت باكو شراء النفط من موسكو، بينما سنة 2024م بلغ النفط المستورد من روسيا 1.5 مليون طن، وفي نفس الوقت تعد روسيا سوقا رئيسيا لتصدير الفاكهة الأذربيجانية والخضروات وحسب بعض الخبراء الروس فإن حصة الفواكه والخضروات المبيعة عام 2024م بلغت حصة روسيا الثلثي من صادرات باكو والتي بلغت مليار دولار وفقا للجنة الجمارك الحكومية الأذربيجانية، وبلغ حجم إجمالي التجارة بين باكو وموسكو بما فيها مبيعات البضائع ارتفعت نحو 25% في الأشهر الماضية التي وصلت نحو 2.16 مليار دولار (Lobzhanidze, 2025, p. 5).

لذا ففي حالة أي طارئ مفاجئ في العلاقات بين الطرفين فستتأثر قضية التجارة الأذربيجانية بقوة تجاه روسيا، لكن يبقى أنّ بعد استعادة باكو السيطرة على إقليم "ناقورنو كاراباخ" 2023م فقدت روسيا الكثير من أدوات التأثير في أذربيجان، ما أتاح لها المزيد من الحرية خارج دائرة التهدة أو إرضاء روسيا؛ خاصة بعد نجاح الوساطة الأمريكية في جمع الخصمين أذربيجان وأرمينيا والتوقيع على اتفاق سلام في 08 أوت 2025 في واشنطن، خاصة أنه من بنود الاتفاق فتح ممر "زنغزور"، وهو ممر بري يربط بين أذربيجان بإقليم "نخجوان" الأذري عبر الأراضي الأرمينية والاتفاق على خضوعه لإشراف أمريكي. وعليه تبددت كل مظاهر السيطرة في روسيا على الممر وأوراق ضغط مفقودة تجاه أذربيجان.

لكن على المستوى الرسمي من البلدين يتم دائما توصيف العلاقات بالمهمة والاستراتيجية، ولا يسعى كل طرف منهما إلى تصعيد التوترات التي تميّز علاقتهما، ومنها مثلا بعد سقوط الطائرة "كاب" الأذربيجانية في ديسمبر 2024م التي أسقطت بصاروخ حربي روسي أدت إلى توتر مؤقت بين الطرفين، بالرغم من اعتذار "فلاديمير بوتين" بعد أيام من الحادث.

2.1. علاقة روسيا مع جورجيا وأرمينيا:

-علاقة روسيا بجورجيا: تاريخيا تميّزت العلاقات الجورجية الروسية بكثير من الشد والجذب خضعت للسيطرة الروسية مرتين: سنة 1801 وسنة 1921م، وسنة 1991 كانت جورجيا من أوائل دول الكتلة الشرقية في إعلان الاستقلال من الهيمنة الروسية، غير أنّ هذا الاستقلال لم يمهّد جذور الخلاف بين الطرفين بل فتح فصولا جديدة من الصدام بالرغم من القواسم الثقافية المشتركة بين البلدين، بالذات مع تصاعد الحلم الجورجي بالانضمام الى الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي، علاوة على ذلك القضية المحورية في العلاقات الجورجية الروسية وهي مصير الأقاليم الانفصالية وهي "أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية" وتعترف روسيا باستقلال هذه الأقاليم عن جورجيا منذ التصعيد العسكري على جورجيا في 2008. وبقيت مسألة الأقاليم الانفصالية ذات الأصل العرقي من أعقد الصراعات التي عرفتها منطقة جنوب القوقاز، ومن أسباب الخلاف الاساسي بين روسيا وجورجيا المتمثلة في الأبخاز والأوسيتين، حيث أعلنت إدارة منطقة "تسخينفالي" (عاصمة أوسيتيا الجنوبية) جمهورية منفصلة وتطلّعها إلى الاتحاد مع جمهورية أوسيتيا الشمالية من جبال القوقاز الروسية، وكانت منطقة تسخينفالي تضم حوالي ثلث السكان من أصل جورجي والعرق الأوسيتيني يشكل الاغلبية، وردا على ذلك ألغى البرلمان الجورجي الوضع المستقل لأوسيتيا الجنوبية داخل جورجيا سنة 1990، تمكنت ميليشيات أوسيتيا الجنوبية من الرد بدعم الجيوش الروسية وميليشيات أوسيتيا الشمالية، وفي جويلية 1992 تم التوقيع على اتفاق وقف الأعمال العدائية

. اما أبخازيا عاصمتها "سوخومي" في جويلية 1992م اشتدّ الصراع بينها (Janse, 2021, p. 13)

وجورجيا بعد دخول القوات الجورجية الى الإقليم لنزع سلاح الميليشيات الانفصالية، وتم إرسال الدعم الروسي العسكري لأبخازيا بقوة ردا عن العدوان الجورجي، وتم التوصل إلى اتفاق وقف إطلاق النار في جويلية 1993. وتبقى مسألة الأقاليم الانفصالية في جورجيا لم تحرز تقدما يُعتمد عليه لضمان استقرار المنطقة، بالرغم من عدد الاتفاقيات لوقف إطلاق النار والعامل الرئيسي في ذلك هو الدور المزدوج الذي تعيشه روسيا حيث عملت كقوة لحفظ السلام من جهة، مع دعم القيادات الانفصالية في تسخينفالي وسوخومي سياسيا واقتصاديا وعسكريا.

كذلك جاء منعطف حاسم في تاريخ العلاقات الروسية الجورجية الثورة الوردية 2003م بالرغم من أنها تغيير سلمي للسلطة لكنها أفضت إلى مرحلة تجسيد التقارب الجورجي الغربي وانحسار النفوذ الروسي بالمقابل، خاصة بعد الإطاحة بالرئيس الجورجي السابق "إدوارد شيفار نادزه" المدعوم من موسكو، ووصول "ميخائيل ساكاشفيلي" المعروف بسياسته المؤيدة للغرب.

كذلك منعطف مفصلي آخر في علاقة جورجيا بروسيا هو إعلانها الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي، ففي قمة أفريل 2008م تم الإعلان عن إمكانية وضع خطط عمل العضوية لكل من جورجيا وأوكرانيا في قمة الناتو في "بوخارست"، لكن القمة لم تستطع الاتفاق مع خطط العضوية، لكن الفقرة "23" من إعلان القمة التي رحبت بتطلعات الدولتين نحو التوجه الأطلسي والتكامل الأوروبي، وبناء على ذلك عملت جورجيا على تعديل نظامها الأمني والسياسي والدفاعي بما يتوافق نظام الناتو وهي من العوامل التي زادت

من حدة التوترات بين روسيا وجورجيا قبل أشهر من (Meister, 2021, p. 5) التصعيد العسكري على الأراضي الجورجية أوت 2008

هذا يعني ان الطرح الجيوسياسي الروسي تجاه جورجيا قائم لأنها مؤيدة للغرب، ويصورها كوكيل للولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد مؤامرات الأمراض المرتبطة بالتمويل الأمريكي ل "مختبر" لوغار" الذي يقع أطراف "تبليسي" وترى القيادة الروسية جورجيا بأنها جزء من التراث "Lugar laboratory" . (Meister, 2021, pp. 5-6) .

و ما تزال أبخازيا وأوسيتيا الجنوبية من الأراضي المتنازع عليها إلى يومنا هذا تحت السيطرة الروسية الكاملة، ومن الدول التي اعترفت باستقلالها فنزويلا، نيكاراغوا، سوريا، وجميع هذه الدول تربطها علاقات ودية مع روسيا، وفي مارس 2022 صرح زعيم أوسيتيا الجنوبية أن اقليمه يخطط لاتخاذ خطوات حاسمة في المستقبل القريب لتصبح جزءاً من روسيا ومنذ عام 2008م، عرضت روسيا الجنسية والمساعدات المالية وكلاهما تساهم في تكوين رؤية إيجابية عن روسيا. عمليا خططت أوسيتيا الجنوبية لإجراء ات الانضمام إلى روسيا في 17 جويلية 2022م، لكن لم يتم ذلك.

اما أبخازيا اختلفت عنها قائلة: "روسيا الشريك الاستراتيجي دولة صديقة وقريبة ولكن نحن ليس (Rostomyan, 2024, p. 9) لدينا نية للانضمام الى الاتحاد الروسي

وبعد مرور أكثر من ثلاثين عاما من استعادة جورجيا استقلالها لا تزال جورجيا تكافح من أجل السيطرة على جميع أراضيها المعترف بها دوليا، كما أنها مازالت تعيش انقساماً داخليا مريرا بين الطموح للاندماج والتكامل مع الدول الغربية وتيار متمسك بالنفوذ الروسي بحكم الثقافة والقيم الأرثوذكسية المشتركة.

بالمقابل استراتيجية السياسة الخارجية الجورجية لتحقيق طموحاتها الأطلسية قبل فيفري 2022 كانت تلعب على الجانبين الروسي والغربي في ظل عدم تماسك موقف موحد لدول الناتو بشأن عضوية جورجيا وغياب استراتيجية أمريكية واضحة تجاه جورجيا والمنطقة ككل فضلا عن المرونة الغربية مع روسيا التي استغلت كل الفرص لممارسة قوتها الاقتصادية والناعمة لتعزيز نفوذها في جورجيا (Pkhaldze, 2024, p. 8)

وفي 22 ديسمبر 2023 منح الاتحاد الأوروبي مكانة مرشحة لجورجيا، لكن مع التطورات السياسية الأخيرة (2024) واعتمادها للقانون الأجنبي تم إيقاف عملية الانضمام بعد إعلان الاتحاد الأوروبي ذلك في أكتوبر 2024م، مع العلم أن المسعى الأطلسي لا يتوافق وعضويتها في الاتحاد الاقتصادي الأوراسي بعد الحرب الروسية الأوكرانية أظهر الجورجيين تأييدهم المطلق لتوجه لأكرانيا المعارض لروسيا التي ما زالت تحتل 20% من أراضيهم، وساهمت بشكل غير مباشر في العقوبات الدولية المفروضة على روسيا ومن مؤيدي القرارات الأممية ومنظماتها الخاصة ضد روسيا وحررها لكن تبقى جورجيا من خلال كبار مسؤوليها أن بلادهم لم تنضم إلى العقوبات الكاملة ضد روسيا.

بعدها سجل مستوى العلاقات بين أوكرانيا وجورجيا انخفاضا واضحا منذ نهاية 2022 خاصة بعد الخطابات المثيرة للانقسام المتعلقة بالسياسي المسجون "ميخائيل سكاشفيلي" وتعيين أفراد مطلوبين من

العدالة الجورجية في مناصب مرموقة في أكرانيا؛ وهو الأمر الذي يصبّ في مصلحة روسيا للحيلولة دون تضامن إقليمي يدعم أوكرانيا، وفي الوقت الذي اتّجهت العديد من دول الجوار إلى التحفّظ على علاقتها مع روسيا عززت الحكومة الجورجية الروابط الاجتماعية والاقتصادية التجارية؛

فمسألة الانضمام إلى الناتو من وجهة نظر جيوسياسية تجعل من التوترات الروسية الجورجية أمراً قائماً، فروسيا تنظر إلى الأمن بمفهومه استمرار التهديد وتحافظ عليه في مناطق النفوذ التقليدية في منطقة القوقاز، بينما تسعى جورجيا إلى تعزيز السيطرة المركزية والشراكة مع (R.Scott & Berkeley, 2007, p. 5) الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروبي والناتو.

وتشهد العلاقات الروسية-الجورجية اليوم تغييرات تبدو مختلفة في ظل التحالف السياسي "الحلم الجورجي" الذي فاز في الانتخابات البرلمانية 2012م، والحكومة الجديدة آنذاك اتّبعَت سياسة (Lomia, 2020, p. 118) أكثر واقعية وسجلت تحسن في العلاقات الاقتصادية.

كما أفضت الانتخابات البرلمانية في جورجيا أكتوبر 2024م فوز حزب الحلم الجورجي الحاكم الموالي لروسيا بنسبة تصويت 54.08% والمعروف عن "ميخائيل كافيلاشفيلي" بتوافقه مع روسيا، وقام الحزب الحاكم فور فوزه بتجميد مفاوضات انضمام البلاد إلى الاتحاد الأوروبي حتى عام 2028م. وهذا أصبح الرئيس الجورجي المنتخب رئيساً جديداً لمدة خمس سنوات لجورجيا خلفاً للرئيسة المنتهية ولايتها "سالومي زورا بيتشفيلي" المؤيدة للاتحاد الأوروبي، عموماً ستبقى السياسة الخارجية لروسيا تجاه جورجيا تستخدم أدوات متعددة أكثر لتأكيد نفوذها السياسي والاقتصادي، وتقويض الخطاب الغربي بما فيه التطلعات الأطلسية.

ويرى كثيرون أنّ الصراع حول الاتجاه المستقبلي لجورجيا يشكل جزءاً من مواجهة جيوسياسية أوسع بين روسيا والغرب، ووصف المتظاهرون في شوارع العاصمة الجورجية القوانين التقليدية الجديدة أنها قوانين روسية، ويعتبرون حزب الحلم الجورجي متحالفاً مع روسيا ويطالبون باتخاذ خطوات حقيقية نحو التكامل مع الاتحاد الأوروبي، أما الكرملين يسعى لمنع عضوية جورجيا في الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي واعتبارها مجال نفوذها وجزءاً من استراتيجية أوسع لوقف المزيد من التوسع الغربي.

(Dienes & Elena Josten, 2025, pp. 1-2)

علاقة روسيا بأرمينيا: ارتبطت روسيا وأرمينيا منذ استقلالها سنة 1991م بعلاقات تحالف وثيقة جداً، حيث تعدّ روسيا مظلة أمنية تقليدية لأرمينيا، خاصة بعد التوقيع على اتفاقية أمنية سنة 1995 بموجبها تم التأسيس لقاعدة عسكرية "غوميري" على بعد 10 كلم من الحدود التركية؛ الخصم التاريخي لأرمينيا وتم تمديد الاتفاقية في سنة 2010م إلى غاية 2044، وأرمينيا هي عضو كامل في

الاتحاد الاقتصادي الأوراسي منذ 02 جانفي 2015م، بعد توقيعها اتفاقية الانضمام في 09 أكتوبر 2014م، وقبل ذلك هي عضو في رابطة الدول المستقلة منذ استقلالها سنة 1991م، كذلك الانضمام إلى معاهدة الأمن الجماعي عام 1992م، وبالرغم من أنّ معاهدة تتضمن وجود خيار تجميد العضوية في المنظمة، إلا أنّ أرمينيا تتخوّف من الردّ الروسي، لذا بموجب هذه الاتفاقيات روسيا هي حليف عسكري ولها الحق في

قواعد عسكرية بأراضيها. كذلك روسيا هي شريك تجاري مهم لأرمينيا، وهي ثاني وجهة تستقبل البضائع الأرمنية، كما أنها أول مورد للسلاح لأرمينيا، ويهيمن المستثمرون الروس (Balsyte, 2017, p. 1) على جميع مشاريع البنى التحتية تقريبا.

ومع مرور الوقت عززت روسيا من قبضتها الاقتصادية على أرمينيا بشكل كبير، فهي الشريك التجاري الرئيسي لها بقيمة 1.2 مليار دولار، كما تعدّ وجهة لـ 20% من صادرات الأرمن الخارجية ومصدر لـ 70% التحويلات المالية، كما تحافظ روسيا على الصدارة في مجال الاستثمارات الأجنبية والتي تمثل نحو 1400 شركة، كما تعد روسيا موطناً لأكثر من 2.5 مليون نسمة للمهاجرين الأرمن، كما زادت قبضة أرمينيا في يد روسيا ضمن ترتيبات الأصول مقابل الديون بموجبها سلمت الحكومة الأرمنية أكبر مصنع إسمنت "إيتيرا" في أرمينيا إلى مصدر الغاز الروسي لسداد ديونها البالغة 10 ملايين دولار بسبب

(Terzyan, 2018, p. 237) طلبات الغاز السابقة سنة 2002

من جانب آخر كل عام يتم تخصيص أكثر من 200 مقعد للأرمن بغرض الدراسة في الجامعات الروسية على حساب الميزانية الفيدرالية، وحتى عام 2019م كان هناك حوالي 6000 أرميني يدرس بالجامعات الروسية، وتم التكفل بأكثر من 1500 منهم من طرف الميزانية الفيدرالية، كما يدرس أكثر (Corcoran, 2025, p. 2) 4.5 ألف طالب في الجامعات الروسية الأرمينية وفروعها.

وتهدف روسيا من وراء تنفيذ سياسة القوة الناعمة إلى تشكيل والحفاظ على الهوية الثقافية الروسية وتعزيزها عبر الحوار الفعال بين الثقافات والأديان، وفي أكد وزير الخارجية الروسي "سيرغي لافروف" على أهمية المنتديات و في هذا الشأن يتم بشكل تقليدي تنظيم منتدى الشباب الروسي- الأرميني من قبل وزارة العلوم والتعليم العالي منذ عام 2015م.

غير أنّ العلاقات الروسية الأرمينية لم تعد هادئة مثل السابق، والأجيال الجديدة تميل إلى رؤية روسيا بدور أقل تأثير في بلدهم، وقد شوّهت العديد من الأحداث صورة روسيا من أهمها أحداث الميدان الكهربائي 2015م؛ أين ظهر السخط الأرميني على روسيا، وأصبح الكثير منهم يرون أنّ الوضع الاقتصادي للبلاد تدهور منذ الانضمام إلى الاتحاد الاقتصادي الأوراسي المدعوم من موسكو.

فالمجتمع الأرميني حالياً فيه فئتان أساسيتان الأصغر سناً والأكثر تعليماً (Alexander, 2019, p. 4)

خاصة من المناطق المركزية من العاصمة "بريفان" تعطي الأولوية للتنمية على الطريقة الأوروبية أما الفئة الثانية وهي من الطبقة المتوسطة وهم الأكبر سناً والأقل تحضرًا والأقل حظًا من الامتيازات يؤمنون بالروابط إلى الدولة الأم السابقة والأغلبية ليس لديها توجه سياسي واضح، كما أنّ أغلب الشتات الأرميني يقطن بروسيا، وتقوم بتحويلات مالية مهمة من روسيا إلى أرمينيا، وفي حالة أي خلاف روسي- أرميني حتما سيتعرضون لسوء المعاملة مثلما حصل للجورجيين بعد التصعيد الروسي الخاطف على جورجيا أوت 2008م، كذلك في حالة توجه أرمينيا نحو الغرب حتما ستغادر أرمينيا الاتحاد الاقتصادي الأوراسي، وهي الفئة من الأرمينيين الأكثر استفادة منه..

كما أنّ الأحداث السياسية في أرمينيا 2018م أحدث تغييرا في الأجيال السياسية حيث تم استبدال جمهور الفترة السوفييتية بجيل تلقوا تعليمات ومارسوا المهن المستقلة في أرمينيا ويطلق عليهم علماء الاجتماع "جيل الاستقلال" الذين يتطلعون إلى التطور في عالم القيم والإصلاحات والحريات والحكم (Alexander, 2019, p. 3) الرشيد ولا يتخذون من بيلاروسيا وكازاخستان نماذج لهم

و الشرح في الولاء الأرميني تجاه روسيا بشكل أكثر وضوحا يرجع إلى عام 2021م-2022م، عندما أطلقت القوات الأذربيجانية هجمات على الحدود على الأراضي المتنازع عليها والتي تراها أرمينيا أراضي تابعة لها، أسفرت الهجمات عن مقتل مئات الجنود الأرمن، وأدّى رفض منظمة معاهدة الأمن الجماعي التي تقودها روسيا وأرمينيا كعضو مؤسس، التدخل لصالح الأرمن في الحرب إلى تحطيم الوهم القديم أنّ روسيا هي حليف موثوق للأرمن الذين يتمسكون بالمعاهدة، وهو الأمر الذي جعل أذربيجان تستولي . (Corcoran, 2025, p. 2) بسهولة على الإقليم في سنة 2023

بالمقابل اتجهت أرمينيا لتجميد أنشطتها مع منظمة معاهدة الأمن الجماعي، ومن وجهة نظر أرمينيا أذربيجان لم تتحرك إلا بعد التصعيد الروسي في أوكرانيا الذي استنزف الكثير من مواردها، لكن التقاعس الروسي تجاه الاجتياح الآذاري له لكثير ما يفسره أهم سبب هو السعي الأرميني لتعميق علاقته مع الغرب. يبقى أنّ علاقة روسيا بأرمينيا هي علاقة دولة مركز بدولة محيط بسبب الاعتماد الاقتصادي الكبير لأرمينيا على روسيا والتبعية الاقتصادية وهي من آليات الهيمنة الروسية عليها أو التبعية الاستعمارية الجديدة ، ففي سنة 2004 اثناء زيارة رئيس الدوما "" يوريس جريزالوف" صرح ان أرمينيا هي البؤرة الاستيطانية الروسية في جنوب القوقاز وطرح البيان استفهام عن وضع أرمينيا كدولة مستقلة ذات سيادة من زاوية موسكو ، ومنذ الحين أصبح المسؤولون الروس أكثر حذرا في (Vardanyan & Zolyan, 2024, p. 12) خطاباتهم تجاه أرمينيا

وخلال زيارة رئيس الوزراء الأرميني " نيكول باشينيان " إلى موسكو بمناسبة يوم النصر في روسيا 09 ماي 2025م بمثابة لفظة مدروسة لطمأنة الكرملن أنّ تحول أرمينيا نحو الغرب لا يعني عزل روسيا وإلغاء التعاون مع الشريك الروسي. عموما هناك العديد من الدلائل التي تؤكد أنّ قبضة روسيا السياسية في أرمينيا بدأت تتراخى ومنها:

-حضور أرمينيا مؤتمر دولي للسلام بحضور ممثلي كل من: الهند، فرنسا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة الأمريكية، إيران، الاتحاد الأوروبي، بولندا، المجر، سلوفاكيا، ألمانيا، الهند وبدون روسيا
-توسيع المساعدات الأوروبية والاستثمار، وزيارات دبلوماسية متكررة لممثلي واشنطن
-انسحاب حرس الحدود من مطار "زفار تنوتس" في يريفان والمناطق الحدودية الرئيسية القريبة من أذربيجان. لكن مازال الاعتماد الأرميني على روسيا قائما في مجال الطاقة والمجال الاقتصادي.

2. العوامل المؤثرة في محدودية النفوذ الروسي بمنطقة جنوب القوقاز

1.2 الدور الغربي والتنافس الإقليمي في جنوب القوقاز: أذربيجان من أكثر دول جنوب القوقاز التي وقع عليها تأثير التنافس الخارجي وهي من الدول الغنية بالطاقة عززها أكثر موقعها الجغرافي الذي يتوسط أوروبا وآسيا ولعبت الطاقة دورا هاما في توجيه السياسة الخارجية نحو الغرب، فبعد انهيار الاتحاد السوفييتي أخذت شركة النفط العالمية والأمريكية منها بالاهتمام بالتنقيب فيها منها: شركة (Amoco) وشركتي (Penzoil و Unocol) على الرغم من أن تلك الفترة تمت المفاوضات في عهد الرئيس الأذري الأول "أياز موتالييف" أين تميّزت علاقة أمريكا بأذربيجان بالتوتر الشديد، على اعتبارها موالية للاتحاد الروسي وحكومة دكتاتورية وتم حضر المساعدات إليها حسب القسم "907" من برنامج المساعدات في عهد الرئيس الأمريكي السابق "جورج بوش الأب"، ومنذ مجيء إدارة "بيل كلينتون" إلى السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية 1994م، صاغت جملة من الأهداف لها تجاه المنطقة تتمثل في:

- خلق دول مستقلة ومستقرة في القوقاز لا تخضع لرقابة ضغط القوى المجاورة مع التعاون مع الحكومات والمؤسسات الغربية بشأن ترتيبات الأمن الإقليمية؛
 - أن تكون دول القوقاز امتدادا شرقيا للقيم الأوروبية الأطلسية وحقوق الإنسان والثقافة.
 - مصدر للطاقة وعبورها نحو أوروبا ومنطقة آمنة لإمداد الغرب وبعبدة عن التأثير الصيني والهندي.
- (Cornell, Starr, & Tsereteli, 2015, p. 20)

على هذا الأساس تم تدشين العديد من خطوط الأنابيب مثل خط أنابيب باكو- تبليسي- جيهان رسميا في 13 جويلية 2006 حوالي 1768 كلم، وأشرفت عليه الشركة البريطانية "برتيش بتروليوم (BP)" بهدف نقل النفط الأذري بعيدا عن روسيا، كذلك يمر الغاز الجنوبي "Southern Gas Corridor" تم اعتماد المشروع بشراكة بين الاتحاد الأوروبي وأذربيجان سنة 2013م، وينقل الغاز الطبيعي من حقل "شاه دينيز" 2 في بحر قزوين من أذربيجان عبر ثلاثة خطوط مرورا بجورجيا ثم تركيا واليونان، ألبانيا وإيطاليا، تم تدشين المرحلة الأولى منه في 29 ماي 2018. كذلك يعتمد الاتحاد الأوروبي على برنامج الشراكة الشرقية الذي تم طرحه في 2009م، كجزء من سياسة الجوار الأوروبية، والتوقيع على اتفاقات تجارة حرة. كما يشارك الاتحاد الأوروبي في جهود حل النزاعات الإقليمية في جورجيا، ولعب الاتحاد الأوروبي دور الوسيط في المفاوضات الدبلوماسية، وقدم المساعدات الاقتصادية والإنسانية في أعقاب نزاع "كاراباخ" بين أرمينيا وأذربيجان سنة 2020 و زادت جهود الاتحاد الأوروبي في بناء السلام وتقديم المساعدات المالية للنازحين ، كما أنّ الاتحاد الأوروبي أحد أكبر الشركاء التجاريين لدول جنوب القوقاز خاصة جورجيا وأذربيجان، وعززت منطقة التجارة الحرة العميقة والشاملة (DCFTA) العلاقات الاقتصادية مما أدى الى زيادة التجارة والاستثمار ،بالرغم من أن أرمينيا هي جزء من الاتحاد الاقتصادي الأوراسي، حافظت على علاقات اقتصادية قوية مع الاتحاد الأوروبي. (Ordukhanyan & Sukiasyan, 2025, p. 209)

كانت الولايات المتحدة الأمريكية أحد الوسطاء الرئيسيين في مفاوضات أرمينيا- أذربيجان وعقدت عدّة اجتماعات مع أرمينيا وأذربيجان لوزراء الخارجية في واشنطن في 2022- 2024م، كما عملت على دعم

عملية الديمقراطية في أرمينيا، الدور الأمريكي يأتي ضمنيا مع التحركات الأوروبية، حيث تعد منطقة جنوب القوقاز إحدى ساحات المواجهة بين التوجه الأوراسي والأطلسي، وأكد الاتحاد الأوروبي أيضا على أهمية الممر الأوسط "Middle corridor" الذي يربط الاتحاد الأوروبي بمركز آسيا والصين، وتجاوز روسيا وإيران (Poghosyan, 2024, p. 9)

عموما يشكل هذا الطريق استقلال استراتيجي لأوروبا من خلال تحويل التجارة من مناطق الاختناق البحرية والطرق البرية التي تقع تحت الهيمنة الروسية. على الرغم من التعاون المتزايد في مجال الطاقة تظل العلاقة بين أذربيجان والاتحاد الأوروبي جد حساسة سياسيا في أعقاب حرب إقليم "كاراباخ" الثانية قام عدد من الدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي والبرلمانيين عبروا عن عدم ارتياحهم من العواقب اللإنسانية للحرب الأخيرة لأذربيجان واتهموها بالاستخدام غير المناسب للقوة وتهجير الأرمن، ولا تزال هذه المناقشات تؤثر على علاقة الاتحاد الأوروبي في أذربيجان فيما يخص تحقيق التوازن بين الأولويات الاستراتيجية والمبادئ المعيارية. (Tengiz Pkhaladze, 2025, p. 6)

كما أنّ كل من إيران وأذربيجان تدعو إلى تطبيع العلاقات المتبادلة منذ 2024م، والتزموا بالتعاون في مجال التجارة والبنى التحتية للاستثمار في العلاقات مع باكو، وهذا للتعويض عن الشراكة الاستراتيجية العميقة بين أذربيجان وإسرائيل التي شكّلت عامل قلق ودافع لتطوير تعاونها معها، كما سعت إيران سابقا لتنسيق علاقاتها مع أرمينيا، و تمثل صيغة التعاون الإقليمي 3+3 أهمية قصوى لدى إيران مع جورجيا وأرمينيا.

و زادت تركيا من نفوذها بالمنطقة لكنها لم تتمكن بعد من تحدّي الدور الروسي المهيمن بالمنطقة، فقد جعل إعلان "شوشا SHusha Declaration" الصادر في 15 جوان 2021م من العلاقات الثنائية أكثر خصوصية وأعاد تموضع الوجود العسكري بالمنطقة، وهي تسعى لتطبيع علاقتها مع أرمينيا بما يعزز الدور التركي مستقبلا في المنطقة من خلال إنشاء المزيد من الروابط البرية في أذربيجان وناخيتشيفان (إقليم حكم ذاتي تابع لأذربيجان)، يعزز المسعى التركي الطويل في الوصول المباشر إلى بحر قزوين وخارجه متجاوزا إيران، وتصبح مركز نقل وعبور لهذه المنطقة إلى أوروبا

(Neset, Aydin, & Ergun, 2023, p. 13). هذا فضلا عن تعزيز تجارة السلاح مع أذربيجان بعد نجاح طائرات بدون طيار وأنظمة عسكرية أخرى استخدمتها أذربيجان في الحسم العسكري في إقليم كاراباخ سبتمبر 2023م، ويرى الكثير من الخبراء أن نتيجة الحرب هي انتصار لتركيا. غير أنّ تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية على تركيا لها جانب آخر، فروسيا تسيطر على منطقتي "ماريول بول وأوديسا" وهذا يمكن روسيا من السيطرة على كامل الأراضي الأوكرانية والخط الساحلي الذي يحيط بأوكرانيا، ويوفر ممرا بريّا من روسيا إلى شبه جزيرة القرم "وترنسنيستريا" في مولدفا، كما وردت تقارير مثيرة للقلق تفيد أنّ الألغام المنحرفة التي أطلقتها روسيا تم اكتشافها في غرب البحر الأسود من ميناء أوديسا إلى البحر الأسود، وإذا كانت التقارير صحيحة سيلحق أضرارا في تطوير الطاقة المكتشفة داخل المنطقة. الاقتصادية التركية

الخالصة (Neset, Aydin, & Ergun, 2023, p. 18). كما اثرت الحرب الروسية الاكرانية على الدينامكية السياسية الداخلية لدول جنوب القوقاز والتوازن الإقليمي وكانت أذربيجان هي من تولّت يد التغيير بالمنطقة التي اغتنمت فرصة الغزو الروسي الشامل لأوكرانيا وحولت المد لصالحها من خلال جلب إقليم "ناقورنو كاراباخ" بأكملها وعوضت الأراضي التي خسرتها في أوائل تسعينيات القرن العشرين من خلال عملية عسكرية خاطفة في سبتمبر 2023م، ولم تقتصر مكاسبها على البعد الأمني فقط بل عززت مكانتها باعتبارها المحور الرئيسي للطاقة الأساسية ومشاريع البنى التحتية، حيث ضاعفت صادرات الغاز نحو أوروبا عبر بحر قزوين وممر الغاز الجنوبي. (Giuashvili, 2025, pp. 4-5)

كما شهدت الإستراتيجية الجيوسياسية لأرمينيا تحولا كبيرا في سعيها لإبعاد نفسها على الاعتماد الروسي وخاصة في مجال الأمن والحدود وإدارة الحدود، ولأول مرة منذ 32 سنة سيطرت القوات الأرمينية على نقطة تفتيش على الحدود الأرمينية- الإيرانية حتى جانفي 2025م، وهو ما يرمز إلى استعادة السيادة في الوقت نفسه تتم الآن إدارة حدود أرمينيا مع تركيا بالاشتراك مع القوات الروسية. على الرغم من أنّ أرمينيا قلّصت بشكل فعّال من الدور العسكري لموسكو في الشؤون الداخلية، ويشمل التوجه الأرميني نحو الغرب جهود التنوع الاقتصادي والتركيز على التكنولوجيا كاستضافة المؤتمر العالمي لشركات كبرى مثل أمازون وفوثل (Ordukhanyan & Sukiasyan, 2025, p. 214).

في ذات السياق ومنذ 09 جانفي 2025 صادقت الحكومة الأرمينية على مشروع قانون ببدء عملية الانضمام إلى الاتحاد الأوروبي، ويجب إجراء استفتاء شعبي لاعتماد مشروع الانضمام حسب "نيكول-باشينيان" رئيس الوزراء الأرميني "لكن يبقى أنها لم تقدم لحدّ الساعة طلبا رسميا للانضمام أو أنها أصبحت دولة مرشحة،

كما أصبحت دول جنوب القوقاز الثلاث تستورد الكثير من البضائع من الصين أكثر من التصدير إليها، وتشكل فرصة للتأثير الاقتصادي وفق استراتيجية التوسع الاقتصادي لأمن الطاقة والنفوذ الجيو سياسي، من جانب آخر تحافظ الصين على حيادها وتتفادى التورّط في القضايا السياسية، كما تشكل ممرا حاسما لمبادرة الحزام والطريق للصين بما في الممر الاقتصادي من الصين وآسيا الوسطى- غرب آسيا الذي يمر عبر جنوب القوقاز، بكن مولت مشاريع البنية التحتية المهمة و مشاريع النقل، وقدمت أموالا كبيرة للبنية التحتية الرقمية ومشاريع أخرى في أذربيجان وجورجيا وجزء من أرمينيا.

2.2 مركزية الدور الروسي في الصراعات الإقليمية بجنوب القوقاز

بحكم العامل التاريخي تتواجد روسيا عسكريا ولديها قوّات في جميع دول جنوب القوقاز بشكل متفاوت، فهي تتواجد في أرمينيا في قاعدة عسكرية "غيومري" 102 التي تضم 5000 جندي وقاعدة جوية في مطار يريفان وتدافع عن حدود أرمينيا من تركيا وإيران، وسابقا في أذربيجان في قاعدة "خوجالي" ومركز مراقبة روسي-تركي، اما جورجيا تتواجد روسيا في الأقاليم الانفصالية "أبخازيا و أوسيتيا الجنوبية". لذا تحتكر روسيا حق نشر قوات حفظ السلام بالمنطقة وبدون تفويض دولي، غير أنّ الدور الروسي يتباطأ كثيرا

أو يعتمد البث النهائي في نزاعات المنطقة وعلى وجه التحديد نزاع إقليم "ناغورنو كاراباخ" والأقاليم الانفصالية الجورجية.

وكلا القضيتين أدت إلى خلق قناعة لدى الأوساط السياسية والشعبية أنّ تقدم المنطقة يتماشى مع الحد من الدور المهيمن لروسيا وتعزيز التعاون مع القوى الإقليمية والغربية.

-إقليم "ناغورنو كاراباخ": هو من أبرز النزاعات القائمة بمنطقة جنوب القوقاز؛ تعود جذوره إثر قرار أصدره "ستالين" في 05 جويلية 1921م، بتخصيص منطقة للأرمن، ويتمتع بنوع من الاستقلالية عن أراضي أذربيجان الاشتراكية السوفيتية، وعليه تم اعتبار الإقليم تابع لأذربيجان بعد استقلالها سنة 1991م، إلا أنّ أرمينيا ظلّت تعتبره جزءاً من أراضيها وتطالب بضمه بالكامل، وانطلاقاً من هذا شهد الطرفان العديد من مظاهر التصعيد العنيف على الإقليم.

وبحكم الجوار الجغرافي القريب لروسيا من الإقليم تعدّ لاعبا أساسيا فيه دون حلّه بشكل واضح ونهائي ووقف لأي أعمال عدائية مستقبلا تضمن استقرار المنطقة إضافة إلى ضعف علاقة روسيا مع أعضاء رابطة الدول المستقلة (CIS). وعلى العموم اتّسمت السياسة الخارجية لروسيا داخل الفضاء ما بعد السوفييتي بمزيج من المصلحة الاستراتيجية والضعف النسبي في التسعينيات، والعجز والافتقار إلى استراتيجية طويلة الأمد كفيلة بإدارة أزمات المنطقة وتضمن نفوذ أطول لروسيا بالمنطقة،

رغم ذلك ساعدت روسيا كل من أذربيجان وأرمينيا في الوصول إلى اتفاق لوقف إطلاق النار في ماي 1994م كرئيس مشارك لمجموعة "مينسك" المؤسسة التابعة لمنظمة الأمن والتعاون في أوروبا المؤسسة المهيمنة على إدارة النزاع، وقد أدّى هذا إلى وضع غريب لروسيا في الصراع باعتبارها دولة غير عادلة ولا وسيط محايد، على الرغم من دعمها لأرمينيا في السنوات الأولى. عملت روسيا على تطوير علاقتها مع أذربيجان بمرور الوقت. أولويات روسيا لا تشتمل حل حرب ناغورنو كاراباخ، بل هو الحفاظ على نفوذها في المنطقة ولو على حساب الحل الأمثل لطرفي النزاع واستقرار المنطقة. وعليه روسيا لا توفر السلاح فحسب لأرمينيا فقط وإنما تبيعه أيضا لأذربيجان، لقد قدّمت روسيا مساهمة كبيرة في ظهور هذا الصراع والحفاظ عليه لأسباب جيو إستراتيجية، ولا يوجد أي دليل أنّ روسيا بذلت جهدا لتحويل الصراع إلى اتفاق سلام عادل ونهائي (Anggraeni, 2022, p. 344)

وهدف روسيا بعد اتفاق وقف إطلاق النار 2020م هو الإطاحة برئيس الوزراء "باشينيان" على خلفية احتجاجات الأرمن بعد الاتفاق الذي تم اعتباره خيانة واستقدام رئيس وزراء جديد من الأرمن أكثر ولاءً لروسيا. كذلك لا يمكن تفسير الموقف الروسي المتعاضد تجاه أرمينيا، دون الرجوع إلى الاتفاق الذي تم توقيعه بين أرمينيا في 24 نوفمبر 2017م، الاتفاق الشامل (CEPA) الذي دخل حيّز النفاذ بشكل جزئي سنة 2018م، ودخل حيّز النفاذ كليا سنة 2021م، أما الهدف الثاني هو خلق تبعية أقوى من أرمينيا لروسيا -من بعد استعادة أذربيجان لأراضيها- أنّ أرمينيا لا تستطيع البقاء كدولة بدون روسيا وقبل أن تتحرّك أذربيجان قال رئيس الوزراء الأرميني "باشينيان": "... إنّ الاعتماد على شريك واحد في المسائل الأمنية هو

خطاً استراتيجي وتكلفته باهضة على أرمينيا..." ومنذ بدأت الحرب الروسية - الأوكرانية 2022م؛ لم تعد قضية الدفاع عن أرمينيا مدرجة في جدول أعمال موسكو. (Kogamn, 2024, p. 2)

كما أنّ هناك حساسية شخصية لدى الرئيس الروسي "بوتين" لرئيس الوزراء "نيكول باشينيان" بالمقابل علاقة تفاهم متبادلة بين الرئيس الأذري "إلهام عليف"، وعليه العلاقات الجيدة مع أذربيجان لا تقل أهمية مع علاقة روسيا مع أرمينيا؛ التي هي عضو في منطمتين تقودهما روسيا، لكن أرمينيا أبدت الكثير من مواقف عدم المرونة خاصة ما يسمى بخطة لا فروف 2016م (Waal, THE nagorny karabakh Conflict in its fourth decade, 2021, p. 5)

بالمقابل علاقة روسيا بأذربيجان هي الأقوى منذ ثلاثين عاما، وفي أوت 2024م قام الرئيس الروسي "بوتين" بزيارة دولة "باكو" رفقة كبار الوزراء بناءً على اتفاقية الشراكة الموقعة في فيفري 2022م، وكلاهما دولتان من حزب واحد وترفضان القيم الغربية وترفض نفوذها بالمنطقة.

(Waal, Russia, the South Caucasus and the Black Sea, 2025, p. 3)

-الأقاليم الانفصالية الجورجية: بعد مرور أكثر من ثلاثين سنة على استقلال جورجيا من الاتحاد السوفييتي سابقا لم تصل بعد إلى توحيد أقاليمها الترابية تحت سيادتها ، وعلى إثر الحرب الروسية على جورجيا الخاطفة سنة 2008م اعترفت روسيا باستقلال المناطق الانفصالية "أبخازيا" و"أوسيتيا الجنوبية" التي أعلنت رغبتها في الانفصال عن جورجيا قبل الاستقلال منذ 1990م، واستمرت بعد استقلال جورجيا، وبعد مرور أكثر من عقد من انفصال الإقليمين لم يتم إحداث أي تقدّم في تسوية وضع الأقاليم الانفصالية في الوقت الذي مازال البرلمان الجورجي يعتبرها أراضي محتلة من روسيا، وتوجه روسيا العسكري تجاه الإقليمين لم يأت من فراغ بل سبقته خطط عمل العضوية (MAPS) الذي تمت مناقشته مع جورجيا وأوكرانيا في قمة الناتو في بودابست، لكن الفقرة- 23 -من إعلان القمة رحّب بتطلعات أوكرانيا وجورجيا الأوروبية والأطلسية للحصول على العضوية . بقيت مسألة الأقاليم الانفصالية من القضايا الأساسية العالقة بين الطرفين دون وجود أفق واضح لتسويتها وفق معادلة تحمي مصالح طرفي النزاع (الأقاليم الانفصالية وجورجيا). فروسيا استغلت التوترات الأمنية الداخلية لجورجيا وانخرطت فيها في سلوك عدائي لتعزيز أجندتها الجيو سياسية الخاصة لمنع هروب جورجيا من دائرة نفوذ روسيا، وفي أعقاب ثورة الورود عام 2003م عرقلت روسيا تحوّل جورجيا نحو الغرب وجعل أراضيها ضمن الخيارات الأمنية الغربية مثل الانضمام إلى حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي، بالمقابل كانت الاستجابة الدولية للصراع في الأقاليم الانفصالية غير كافية 1 (Janse, 2021, p. 11)

واليوم جورجيا تعيش نوعا من الركود السياسي في علاقتها الخارجية بالرغم من اهتمامها بإعادة إحياء مشروع "ميناء أنا كليا" البحري العميق، واعتباره بوابة جورجيا نحو أوروبا وآسيا، المشروع لم يتقدّم وتم منحه إلى شركة صينية خاضعة للعقوبات الغربية. وعلاقة جورجيا مع الغرب تشهد جمودا بعد تعليق الشراكة الاستراتيجية بينها وواشنطن والاتحاد الأوروبي بعد تراجع سجلها في الإصلاح السياسي. من جهة

ثانية لروسيا مصالح جيواستراتيجية وتمديد وجودها العسكري في الأقاليم الانفصالية الجورجية، وتحتل أبخازيا اهتماما كبيرا من روسيا أكثر من أوسيتيا الجنوبية باعتبارها إقليم مشاطئ للبحر الأسود، و لها قاعدة بحرية وهي ورقة مساومة لجورجيا، وتعززت أهميتها مع الحرب الروسية-الأوكرانية 2022م، بحيث كشفت روسيا جهودها وضغطها عليها لشراء أو استئجار أصولها الاقتصادية، وأفادت تقارير أخرى أنّ روسيا منذ بداية 2024 تقدمت في أعمال إعادة بناء ميناء "أوشامشير" بعد الخسائر التي تكبدتها أسطول البحر الأسود الروسي بالرغم من معارضة شعبية داخلية، أما المصلحة الاستراتيجية الثانية فهي إعادة فتح أبخازيا كطريق دولي بين الشمال والجنوب، كما توسّطت سويسرا - تحت المضلة الأوروبية-لإنشاء ممرات نقل تعبر أوسيتيا الجنوبية وأبخازيا تجمع كل من جورجيا وروسيا (Waal, Russia, the South Caucasus and the Black Sea, 2025, pp. 9-10)

وهذه المبادرة لم تنجح لاحقا. ومما سبق يتضح مدى تعقيد الوضع الأمني لإقليمي النزاع في جورجيا أين بقيت روسيا طرفا أساسيا فيها تحت "منطق فرق تسد" وغلق كل من منافذ الحوار والتفاوض مع جورجيا حول تصفير الازمة.

الخاتمة:

لطالما كانت منطقة جنوب القوقاز منذ فترة طويلة مسرحا للمصالح المتنافسة بين القوى التقليدية والعالمية بسبب موقعها الاستراتيجي الذي يتوسط الممر الشرقي الغربي الذي يربط أوروبا بآسيا الوسطى وخارجها ما جعلها عرضة للتنافس والصراعات المستمرة والتحالفات المضطربة. وانطلاقا من نهاية 2023 تشهد المنطقة جملة من التغيرات والتحولات الجيوسياسية النوعية في شبكة التوازنات الإقليمية مدفوعة بعمليات إعادة التنظيم الإقليمية وفق معادلة تقوية الحضور الغربي والإقليمي على حساب الحضور التقليدي الروسي ما يعني ان ميزان القوى بالمنطقة بالمنطقة دخل مرحلة جديدة يستثني فيها قيادة روسيا لمنطقة نفوذها التقليدية، وعلى العموم يقف عاملين رئيسين وراء محدودية دور روسيا بالإقليم هما: الدور الأوروبي والأمريكي في جر دول المنطقة في شبكة من التفاعلات الاقتصادية والسياسية والأمنية وسحب هيمنة روسيا تدريجيا من المنطقة، والعامل الثاني هو تداعيات الحرب الروسية الأوكرانية 2022 والتي استنفذت قدراتها، وحشدت دول الإقليم مع اكرانيا ضد روسيا وعليه خلصت هذه الورقة البحثية الى جملة النتائج الآتية:

-بحكم الارتباط التاريخي لروسيا أتاح لها حضور سياسي واقتصادي وعسكري قوي بإقليم جنوب إقليم هذا الحضور كرسته روسيا كهيمنة تقليدية عبر ديناميكيات متنوعة لمواجهة الزحف الأوروبي نحو الشرق وتمدد الأطلسية نحو مناطق نفوذ روسيا التقليدية.

-الدور الأمريكي عمل كمنافس قوي لروسيا في الفضاء الجيوسياسي المتناخم لها، لسحب دول الإقليم نحو عضوية حلف الشمال الأطلسي والتكامل مع الاتحاد الأوروبي، من جهة أخرى تأمين الامن الطاقوي بعيدا عن روسيا.

-دول جنوب القوقاز تفتقر الى مركب أمني مشترك او على الأقل رؤية موحدة لاستقرار المنطقة ككل والسبب هو النزاعات القائمة في الإقليم، مع العلم ان روسيا هي المحرك الأساسي لها لكن عملت على ادارتها وفق منطق "فرق تسد" مع الإبقاء على حالة اللاتقة بين روسيا وأذربيجان وأرمينيا وجورجيا والعمل على إدارة النزاعات دون حلها بشكل نهائي.

-علاقة روسيا بدول جنوب القوقاز تشهد انخفاضاً سياسياً ملموساً انعكس على هيمنتها بالمنطقة التي أصبحت تُراوح بين المحدودية والانكماش من الأسباب المباشرة لذلك:

* عملت أذربيجان على تنويع شركائها الأجانب من الدول الغربية والإقليمية كمورد أساسي للطاقة عبر شبكة من خطوط نقل الطاقة تستثني روسيا بالمقابل رفضت الانضمام الى الاتحاد الاقتصاد الاوراسي الذي ترأسه روسيا.

* توجه جورجيا نحو التكامل الأوربي والانضمام الى حلف شمال الأطلسي منذ مجيء ميخائيل سكاشفيلي 2004.

* اتجاه أرمينيا نحو الى تعميق شراكتها الاقتصادية مع أوروبا بداية من 2018.

* الحرب الروسية الجورجية 2008، خلقت شرخاً سياسياً في العلاقات الثنائية لا يستوي بالتقدم.

* التقاعس الروسي في الدفاع عن أرمينيا في الحرب الخاطفة لأذربيجان على إقليم "كاراباخ" سبتمبر 2023 كانت سبب كافياً لعدم جدوى التحالف الأمني مع روسيا وبداية التنسيق مع واشنطن.

قائمة المراجع:

- Alexander, I. (2019). Armenia-Russia Relations: the Revolution and the Map. *Caucasus Analytical Digest*.
- Anggraeni, S. K. (2022, december). Analyzing Russia's Interests in the 2020 Nagorno-Karabakh Ceasefire Agreement. *Jurnal Hubungan Internasional*.
- Balsyte, E. (2017). *Armenia: Russia first, EU second?* European Union Institute for Security Studies (EUISS).
- Corcoran, J. (2025). Armenia Is Breaking Up With Russia –And Putin Can't Stop It. *The Moscow time*.
- Cornell, S. E., Starr, S., & Tsereteli, M. (2015). *A Western Strategy for*. Washington: The Central Asia-Caucasus Institute.
- Dienes, A., & Elena Josten. (2025). *Georgia's look to the future*. Vienna: Security Radar 2025.
- Giuashvili, T. (2025). *The Changing Face of the South Caucasus*. london: LSE IDEAS.
- Guliyev, F. (2021). Azerbaijani-Russian Relations: Transactional Diplomacy in Action. *RUSSIAN ANALYTICAL DIGEST*.
- Heidi Kjærnet, O. (2009). *The Energy Dimension of Azerbaijani-Russian Relations: Maneuvering for Nagorno-Karabakh*. 2009: russian analytical digest.

- Janse, D. (2021). *Georgia and the Russian Aggression*. Sweden: The Stockholm Centre for Eastern European Studies.
- KC, A. (2016). Different Strokes for Different Folks: Azerbaijan's Geopolitical Orientation between the EU and Russia. *International Relations*, p. 272.
- Kogamn, E. (2024). *The Role of Foreign Actors in the Armenia-Azerbaijan Conflict*. AIES FOCUS 2024.
- Lobzhanidze, D. (2025). *Will latest tensions between Russia, Azerbaijan impact their ties?* russia: BBC Monitoring.
- Lomia, E. (2020, may). The evaluation of Russia's foreign policy towards Georgia following the 'Rose Revolution'. *Journal of Liberty and International Affairs*.
- Meister, S. (2021). GEORGIAN-RUSSIAN RELATIONS: THE ROLE OF DISCOURSES AND NARRATIVES. *the Heinrich Boell Foundation Tbilisi Office – South Caucasus Region*.
- Neset, S., Aydin, M., & Ergun, A. (2023). *Changing Geopolitics of the South Caucasus after the Second Karabakh War*. Norway: Michelsen Institute.
- Ordukhanyan, E., & Sukiasyan, H. (2025, January). A new balance of power in the South Caucasus: How can it lead to regional stability? *International Journal of Innovative Research and Scientific Studies*.
- Peters, R. (2006, june). Blood borders : how better middle east would look. *armed forces*.
- Pkhaladze, T. (2024). *GEORGIAN GEOPOLITICAL KNOT*. Georgia: Latvian transatlantic organisation.
- Poghosyan, B. (2024). *The Geopolitical Future of the South Caucasus*. Armenia: Friedrich Naumann Foundation for Freedom Armenia.
- R.Scott, E., & Berkeley, C. (2007). *Russia and Georgia After Empire*. russia: russian analytical digest.
- Rostomyan, A. (2024). Georgia and Russia: A Tenuous Relationship. *American Revival: Citizenship and Virtue*.
- Tengiz Pkhaladze. (2025, october). *Navigating Geopolitical Realities: The EU's Strategic Positioning in the South Caucasus and Central Asia*. European Centre for international political economy.
- Terzyan, A. (2018). The anatomy of Russia's grip on Armenia: Bound to persist? *Centre for European Studies*.
- Vardanyan, E., & Zolyan, M. (2024). *Discourse of Russian Colonialism regarding Armenia*. Armenia: Friedrich Naumann Foundation for Freedom.
- Waal, T. (2021). *THE nagorny karabakh Conflict in its fourth decade*. CEPS.
- Waal, T. (2025). *Russia, the South Caucasus and the Black Sea*. Carnegie Europe.